قیام نظام النبوية بالحكمة والموعظة الحسنة فی عهد النبوی ﷺ و خلفاء الراشدين رضی اللہ عنہم

الاستاذ الدكتور صلاح الدين ثانی الازهری

Abstract

The Islamic punishment system is required in the present age to act upon it.

All the systems of the whole world failed to establish peace and justice.

On the other hand, when the demand of existence of establishment takes place, the demanding persons are discouraged and are accused with some crimes.

So the charges and accusations are argued with proofs. As the instructions are giving by Holy Book and Sunnah. The meaning of hikmat is comprehensive.

To understand this meaning, the awareness about the system of Kaliphet is necessary.

It has been discussed in this thesis.

الحمد لله وحده والصلوة والسلام على من لا نبی بعده

لما كانت العالمية من طبيعة الدعوة الإسلامية، و رسولها عليه الصلاة و السلام بشر لا يحيط بالزمان كله، و المكان كله، ليبلغ دعوة ربه سبحانه، كان من لوازم ذلك وجود دعاة مع النبی عليه الصلاة و السلام يعينونه على الدعوة فی عصره و يبلغون الرسالة من بعده(۱)

و كما أوجب الله الدعوة على رسوله كما فی قوله: {ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾}(۲)

فهذه الآية خطاب للنبي ﷺ ولكل من يتأتى خطابه من الأمة من بعده، إذ الدعوة لله، أو إلى سبيل الله ليست خاصة بالنبي عليه الصلاة و السلام، بل أمته أيضا مطالبة بأن تقوم بدعوته معه و بعده.

وقد أمر الله سبحانه أمته، حين قال على لسان نبيه: {قُلْ هٰذِهٖ سَبِيْلِيْٓ اَدْعُوْٓا اِلَى اللّٰهِ ۣ عَلٰي بَصِيْرَةٍ اَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِيْ ۭ وَسُبْحٰنَ اللّٰهِ وَمَآ اَنَا مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ ۝}(۳)

فكل من اتبع محمدا ﷺ، ورضي بالله ربا، و بالإسلام دينا، و بمحمد نبيا ورسولا، هو داع إلى الله، و داع على بصيرة، بنص القرآن: {اَدْعُوْٓا اِلَى اللّٰهِ ۣ عَلٰي بَصِيْرَةٍ اَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِيْ ۭ}(۴) و بهذا كانت الأمة مبعوثة إلى الأمم بما بعث بها نبيها، فهي تحمل رسالته و تحتضن دعوته، كما قال ﷺ: إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين(۵)

وقال الصحابي الجليل ربعي بن عامر رضي الله عنه لرستم قائد جيوش الفرس: إن الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، و من جور الأديان إلى عدل الإسلام(۶)

وفي مجموعة فتاوى ابن تيمية أن الدعوة نفسها أمر بالمعروف و نهي عن المنكر، و من الآيات القرآنية الناطقة بذلك قول الله : {وَلْتَكُنْ مِّنْكُمْ اُمَّةٌ يَّدْعُوْنَ اِلَى الْخَيْرِ وَيَاْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۭ وَاُولٰۗىِٕكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ ۝}(۷)

{وَالْمُؤْمِنُوْنَ وَالْمُؤْمِنٰتُ بَعْضُهُمْ اَوْلِيَاۗءُ بَعْضٍ ۘ يَاْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيْمُوْنَ الصَّلٰوةَ وَيُؤْتُوْنَ الزَّكٰوةَ وَيُطِيْعُوْنَ اللّٰهَ وَرَسُوْلَهٗ ۭ اُولٰۗىِٕكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّٰهُ ۭ اِنَّ اللّٰهَ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ ۝}(۸)

{كُنْتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَاْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ ۭ وَلَوْ اٰمَنَ اَهْلُ الْكِتٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۭ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُوْنَ وَاَكْثَرُهُمُ الْفٰسِقُوْنَ ۝}(۹) ويقول: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُوْنَ لِيَنْفِرُوْا كَاۗفَّةً ۭ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَاۗىِٕفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوْا فِي الدِّيْنِ وَلِيُنْذِرُوْا قَوْمَهُمْ اِذَا رَجَعُوْٓا اِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُوْنَ ۝}(۱۰)

{اَلَّذِيْنَ اِنْ مَّكَّنّٰهُمْ فِي الْاَرْضِ اَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَاٰتَوُا الزَّكٰوةَ وَاَمَرُوْا بِالْمَعْرُوْفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۭ وَلِلّٰهِ عَاقِبَةُ الْاُمُوْرِ ۝}(۱۱)

أهمية الحكمة وموعظة الحسنه

جاء الامر بالدعوة فی مواطن کثیرة من القرآن الکریم: {فَلِذٰلِكَ فَادْعُ ۚ وَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۚ}(۱۲) {قُلْ هٰذِهٖ سَبِيْلِيْٓ اَدْعُوْٓا اِلَى اللّٰهِ ۣ عَلٰى بَصِيْرَةٍ}(۱۳) {وَادْعُ اِلٰى رَبِّكَ ۚ اِنَّكَ لَعَلٰى هُدًى مُّسْتَقِيْمٍ}(۱۴) {وَمَنْ اَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَآ اِلَى اللّٰهِ}(۱۵) {وَاللّٰهُ يَدْعُوْٓا اِلٰى دَارِ السَّلٰمِ ۭ وَيَهْدِيْ مَنْ يَّشَآءُ اِلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ}(۱۶) {وَاللّٰهُ يَدْعُوْٓا اِلٰى دَارِ السَّلٰمِ ۭ وَيَهْدِيْ مَنْ يَّشَآءُ اِلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ}(۱۷)

والدعوة إلى الله ليست صيحة مبهمة أو صرخة غامضة، إنها برنامج كامل يضم فی أحلوائه جميع المعارف التی يحتاج إليها الناس ليبصروا الغاية من محياهم، وليستكشفوا معالم الطريق التی تجمعهم راشدين...

والأنبياء واضحون فی رسالاتهم، ليس فی دعواتهم جانب غامض أو غرض مستور. يقول الله فی موسی وهارون:

{وَاٰتَيْنٰهُمَا الْكِتٰبَ الْمُسْتَبِيْنَ}(۱۷) {وَهَدَيْنٰهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيْمَ}(۱۸)

و هم بهذا المنهج المشرق يلقون الناس كلهم، الصديق و العدو، لا يحاولون طی شئ من رسالاتهم يتألم منه هذا، أو المواربة فی وصف حقيقة يكرهها ذاك.

وهم بهذا الوضوح فی رسالاتهم يفاصلون الناس على الكفر أو الإيمان: {مَفْعُوْلًا ۚ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْۢ بَيِّنَةٍ وَّيَحْيٰى مَنْ حَيَّ عَنْۢ بَيِّنَةٍ ۭ}(۱۹) وقد كان من الممكن أن تعرض الدعوات على الكارهين بأسلوب و يسألهم الإفك و الخرافات ... إلى حين ... ولكن الله عزوجل رفض هذا الأسلوب . قال : فلا تطع المكذبين.(۲۰)

وقد تمنی المشركون لو نزل رسول الله عن بعض ما يدعو إليه، و أبدوا استعدادهم لتصديق ما يلائم أفكارهم و أمزجتهم من رسالته . لكن الحق لا يتجزأ و الإيمان به كذلك لا ينقسم.

و من هنا حرض الله نبيه أن يبقى على دعوته الكاملة . و رسالته الشاملة، غير مكترث بما يقترحه الكافرون.

{فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوْحٰٓى اِلَيْكَ وَضَآىِٕقٌۢ بِهٖ صَدْرُكَ اَنْ يَّقُوْلُوْا لَوْلَآ اُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ اَوْ جَآءَ مَعَهٗ مَلَكٌ ۭ اِنَّمَآ اَنْتَ نَذِيْرٌ ۭ وَاللّٰهُ عَلٰي كُلِّ شَيْءٍ وَّكِيْلٌ}(۲۱)

وظل رسول الله ﷺ بدعوته كلها، يشرح أصولها و يوضح سبيلها. ولم تفتر عزيمته فى مهاجمة الأصنام و تسفيه عابديها و التنديد بجهالتهم.

والآن نفهم مفهوم الدعوة و الحكمة و بعد ذلك نفكر فى أسلوب الدعوة.

وهو مأخوذ من مادة (د ع و) قال إبن منظور: الدعاةُ: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، واحدهم داع، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، والنبى ﷺ داعى الله تعالى، و كذلك المؤذن. و فى التهذيب: المؤذن داعى الله، و النبى ﷺ داعى الأمة إلى توحيد الله و طاعته(٢٢).

قال العلامة إبن القيم رحمه الله تعالى: إذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد و أجلها و أفضلها فهى لا تحصل إلا بالعلم أن صاحبه يحوز به هذا المقام، والله يؤتى فضله من يشاء(٢٣).

قال ابن كثير رحمه الله فى قوله تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَّقَالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝} (٢٤)

أى وهو فى نفسه مهتد بما يقول فنفعه لنفسه و لغيره لازم و متعد و ليس هو من الذين يأمرون بالمعروف و لا يأتونه و ينهون عن المنكر، و يأتونه، بل يأتمر بالخير و يترك الشر و يدعو الخلق إلى الخالق تبارك و تعالى، و هذه عامة فى كل ما دعا إلى خير وهو فى نفسه مهتد، و رسوله أولى الناس بذلك(٢٥).

قال الطبرى: هى دعوة الناس إلى الإسلام بالقول و العمل(٢٦).

وهو مأخوذ من مادة (ح ك م) التى تدل على المنع أو المنع للإصلاح(٢٧).

قال الكفوى: الحكمة عند العلماء: العلم النافع المعبر عنه بمعرفة مالها و ما عليها(٢٨) المشار إليها بقوله تعالى: {وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ} (٢٩).

الحكمة عند المفسرين: وهو التكاليف الشرعية(٣٠).

الحكمة عند المحدثين: الإصابة فى القول(٣١)

و قيل: نور يفرق بين الإلهام و الوسواس(٣٢).

الحكمة معرفة آفات النفس و الشيطان و الرياضات(٣٣).

أن كلمة الحكمة فى القرآن على خمسة أوجه:

أحدها: الموعظة(٣٤).

الثانى: السنة(٣٥).

الثالث: الفهم(٣٦).

الرابع: النبوة(٣٧).

الخامس: علوم القرآن(٣٨).

كلمة الحكمة من الحكيم و الحكم أي إسم صفاتي لله تعالى(٣٩). وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن من الشعر حكمة"(٤٠). قال ابن عباس رضي الله عنهما: كونوا ربانيين حكماء فقهاء(٤١). قال معاوية: لا حليم إلا ذو عثرة ولا حكيم إلا ذو تجربة(٤٢).

و قيل: ليس هدية أفضل من كلمة حكمة تهديها لأخيك(٤٣) وقيل: إن رأس الحكمة الصمت(٤٤).

تبليغ الدعوة إلى الله يكون بالقول و بالعمل و بسيرة الداعي التي تجعله قدوة حسنة لغيره فتجذبهم إلى الإسلام(٤٥).

و لا بد أن يستعين الداعي إلى الله بأساليب الدعوة الإسلامية. وهي:

١- الحكمة.

٢- الوعظ عن طريق الترغيب و الترهيب.

٣- الجدل و الحوار و إقامة الحجة.

٤- القدوة.

٥- الجهاد.

٦- التربية و التعليم.

٧- استخدام العلم و نظرياته و اكتشافاته.

٨- الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.

٩- الإعلام.

١٠- التاليف و الكتابة و التحقيق و التخريج.

١١- دروس المساجد.

١٢- الخروج إلى القرى و المساجد و المدن.

١٣- الاهتمام بالعقل.

١٤- الاهتمام بالروح و تزكية النفس و أعمال البر(٤٦).

دعا الإسلام إلى الاستقامة و جعلها أعلى المقامات. و أسلوبه في الدعوة إليها أسلوب يستهوي الأفئدة ويؤثر في النفوس.

الدعوة فی ضوء القرآن

كما قال الله تعالى فی كتابه:

١- {قُلْ هٰذِهٖ سَبِيْلِيْٓ اَدْعُوْٓا اِلَى اللّٰهِ ۣ عَلٰي بَصِيْرَةٍ اَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِيْ ۭ وَسُبْحٰنَ اللّٰهِ وَمَآ اَنَا مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ ۝}(٣٧)

٢- {اُدْعُ اِلٰى سَبِيْلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِيْ هِيَ اَحْسَنُ ۭ اِنَّ رَبَّكَ هُوَ اَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيْلِهٖ وَهُوَ اَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِيْنَ ۝}(٣٨)

٣-{وَالَّذِيْنَ اٰتَيْنٰهُمُ الْكِتٰبَ يَفْرَحُوْنَ بِمَآ اُنْزِلَ اِلَيْكَ وَمِنَ الْاَحْزَابِ مَنْ يُّنْكِرُ بَعْضَهٗ ۭ قُلْ اِنَّمَآ اُمِرْتُ اَنْ اَعْبُدَ اللّٰهَ وَلَآ اُشْرِكَ بِهٖ ۭ اِلَيْهِ اَدْعُوْا وَاِلَيْهِ مَاٰبِ ۝}(٣٩)

٤- {وَاُدْعُ اِلٰى رَبِّكَ اِنَّكَ لَعَلٰى هُدًى مُّسْتَقِيْمٍ}(٥٠)

٥- {وَادْعُ اِلٰى رَبِّكَ وَلَا تَكُوْنَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ ۝}(٥١)

٦- {يٰٓاَيُّهَا النَّبِيُّ اِنَّآ اَرْسَلْنٰكَ شَاهِدًا وَّمُبَشِّرًا ۝ وَّنَذِيْرًا ۝ وَّدَاعِيًا اِلَى اللّٰهِ بِاِذْنِهٖ وَسِرَاجًا مُّنِيْرًا ۝}(٥٢)

٧- {وَمَنْ اَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَآ اِلَى اللّٰهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَّقَالَ اِنَّنِيْ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ ۝}(٥٣)

٨- {فَلِذٰلِكَ فَادْعُ ۚ وَاسْتَقِمْ كَمَآ اُمِرْتَ ۚ}(٥٣)

٩- {وَيٰقَوْمِ مَا لِيْٓ اَدْعُوْكُمْ اِلَى النَّجٰوةِ وَتَدْعُوْنَنِيْٓ اِلَى النَّارِ ۝ تَدْعُوْنَنِيْ لِاَكْفُرَ بِاللّٰهِ وَاُشْرِكَ بِهٖ مَا لَيْسَ لِيْ بِهٖ عِلْمٌ ۡ وَّاَنَا اَدْعُوْكُمْ اِلَى الْعَزِيْزِ الْغَفَّارِ ۝}(٥٥)

١٠- {قَالَ رَبِّ اِنِّيْ دَعَوْتُ قَوْمِيْ لَيْلًا وَّنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيْٓ اِلَّا فِرَارًا ۝ وَاِنِّيْ كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوْٓا اَصَابِعَهُمْ فِيْٓ اٰذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَاَصَرُّوْا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝}(٥٦)

دعوة النبی ﷺ لهرقل عظيم الروم

عن عبدالله بن عباس رضی الله عنهما- أن أبا سفيان أخبره من فيه إلى فيه، قال: انطلقت فی المدة التی كانت بينی و بين رسول الله ﷺ، قال: فبينا أنا بالشام إذ جيئ بكتاب من رسول الله ﷺ إلى هرقل يعنی عظيم الروم، قال: وكان دحية الكلبی جاء به فدفعه إلى عظيم بصری، فدفعه عظيم بصری إلى هرقل... الحديث. و فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم

الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، و أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، و إن توليت فإن عليك إثم الأريسيين"(٥٧).

{قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتٰبِ تَعَالَوْا إِلٰى كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللّٰهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهٖ شَيْئًا وَّلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُوْنِ اللّٰهِ ۭ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُوْلُوا اشْهَدُوْا بِأَنَّا مُسْلِمُوْنَ ۝}(٥٨)

دعوۃ جعفر الطیار للنجاشی:

عن أم سلمة -رضی الله عنها- فی حدیث هجرة الحبشة و من کلام جعفر فی مخاطبة النجاشی، فقال له: أیها الملك، کنا قوما أهل جاهلیة، نعبد الأصنام، و نأکل المیتة، و نأتی الفواحش، و نقطع الأرحام، و نسیئ الجوار، یأکل القوی منا الضعیف، فکنا علی ذلك حتی بعث الله إلینا رسولا منا، نعرف نسبه و صدقه و أمانته و عفافه فدعانا إلی الله، لنوحده و نعبده و نخلع ما کنا نعبد نحن و آباؤنا من دونه من الحجارة و الأوثان، و أمرنا بصدق الحدیث، و أداء الأمانة، و صلة الرحم، و حسن الجوار، و الکف عن المحارم و الدماء، و نهانا عن الفواحش، و قول الزور، و أکل مال الیتیم، و قذف المحصنة، و أمرنا أن نعبد الله وحده و لا نشرك به شیئا، و أمرنا بالصلاة و الزکاة و الصیام، قال: فعدد علیه أمور الأسلام، فصدقناه و آمنا، و اتبعناه علی ما جاء به.. الحدیث(٥٩).

دعوۃ النبی ﷺ للیہود:

عن أبی هریرة -رضی الله عنه- قال: بینما نحن فی المسجد خرج النبی ﷺ فقال: "انطلقوا إلی یهود، فخرجنا حتی جئنا بیت المدراس، فقال: أسلموا تسلموا، واعلموا أن الأرض لله و رسوله و إنی أرید أن أجلیکم من هذه الأرض، فمن یجد منکم بماله شیئا فلیبعه، و إلا فاعلموا أن الأرض لله و رسوله"(٦٠).

دعوۃ النبی ﷺ للمشرکین:

عن إبن عباس -رضی الله عنهما- قال: صعد النبی ﷺ الصفا ذات یوم فقال: "یا صباحاه"، فاجتمعت إلیه قریش، قالوا: مالك؟، قال: "أرأیتم لو أخبرتکم أن العدو یصبحکم أو یمسیکم أما کنتم تصدقونی"؟

قالوا: بلى، قال: "فإني نذير لكم بين يدى عذاب شديد"، فقال أبو لهب: تبا لك ألهذا جمعتنا؛ فأنزل الله: {تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَّتَبَّ ۝١} (٦١)

دعوة النبي ﷺ للصحابة:

عن زيد بن أرقم -رضى الله عنه- قال: قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيبا، بماء يدعى خما، بين مكة و المدينة، فحمد الله و أثنى، ووعظ وذكر، ثم قال: "أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر، يوشك أن يأتى رسول ربى، فأجيب، و أنا تارك فيكم ثقلين، أولهما: كتاب الله فيه الهدى و النور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به". فحث على كتاب الله و رغب فيه. ثم قال: "و أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى" (٦٢)

دعوة النبي ﷺ لعمه:

عن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ لعمه: "قل لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة". قال: لولا أن تعيرنى قريش، يقولون: إنما حمله على ذلك الجزع، لأقررت بها عينك، فأنزل الله: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ} (٦٣)

منهج الدعوة لخلفاء الراشدين رضى الله عنهم:

الآن نوجه على أسلوب الدعوة لخلفاء الراشدين المهديين.

من خطب أبى بكر رضى الله عنه:

خطب -رضى الله عنه- عند توليه الخلافة فقال - بعد أن حمد الله و أثنى عليه-: أيها الناس ...إنى وليت عليكم و لست بخيركم، فإن رأيتمونى على حق فأعينونى، وإن رأيتمونى على باطل فسددونى. أطيعونى ما أطعت الله فيكم، فإذا عصيته فلا طاعة لى عليكم. ألا إن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق له، و أضعفكم القوى حتى آخذ الحق منه (٦٤)

من خطب عمر رضى الله عنه:

الحمد لله الذى أعزنا و أكرمنا بالإيمان و رحمنا بنبيه، فهدانا من الضلالة و جمعنا من الشتات و ألف بين قولبنا و نصرنا على عدونا و مكن لنا فى البلاد و جعلنا به إخوانا متحابين.

وإياكم و العمل بالمعاصي و كفر النعمة فقلما كفر قوم بنعمة ولم يفزعوا إلى التوبة إلا سلبوا عزهم وسلط عليهم عدوهم.

أيها الناس: إن الله أعز دعوة هذه الأمة، و جمع كلمتها، و أظهر فلجها، ونصرها و شرفها، فاحمدوه عباد الله على نعمه، واشكروه على آلائه، جعلنا الله و إياكم من الشاكرين(٦٥).

من خطب عثمان رضی اللہ عنہ:

وآخر خطبة خطبها عثمان، قال: إن الله إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة، ولم يعطيكموها لتركنوا إليها.

إن الدنيا تفنى و الآخرة تبقى، لا تبطرنكم الفانية و لا تشغلنكم عن الباقية وآثروا ما يبقى على ما يفنى، فإن الدنيا منقطعة وإن المصير إلى الله اتقوا الله فإن تقواه جنة من بأسه، و وسيلة عنده، واحذروا من الله الغير. والزموا جماعتكم و لا تصيروا أحزابا: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهٖٓ إِخْوَانًا ۚ وَكُنْتُمْ عَلٰى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِّنْهَا ۗ كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمْ اٰيٰتِهٖ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُوْنَ ۝ وَلْتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَّدْعُوْنَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَأُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ ۝﴾(٦٦)

من خطب علی رضی اللہ عنہ (الناس و العلم):

قال كميل بن زياد النخعي: أخذ علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- بيدي، فأخرجني ناحية الجبانة فلما أصحر جعل يتنفس، ثم قال: يا كميل بن زياد! القلوب أوعية، فخيرها أوعاها، أحفظ عني ما أقول لك:

الناس ثلاثة: فعالم ربانى، و متعلم على سبيل نجاة، و همج رعاع، أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق.

العلم خير من المال: العلم يحرسك وأنت تحرس المال.

العلم يزكو على الإنفاق، و المال تنقصه النفقة.

العلم حاكم، و المال محكوم عليه.

ومحبة العلم دين يدان به.

العلم يكسب العالم الطاعة فى حياته، و جميل الأحدوثة بعد وفاته

وصنيعة المال يزول بزواله.

مات خزان الأموال وهم أحياء، و العلماء باقون على الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة.

هاه هاه، وإن ههنا علما - وأشار إلى صدره- لو أصبت له حملة، بل أصبت له لقنا غير مأمون عليه، يستعمل آلة الدين للدنيا، يستظهر بحجج الله على كتابه، وبنعمه على عباده.

تأثير الحكمة و الموعظة الحسنة على المجتمع:

فإنّ مكالمات القرآن قد تركت أثرها في قلوب الناس فلهذا دخل كثير من العباد في عبادة الله عزوجل آئبين و تائبين وإليك هاتان القصتان على سبيل المثال، إحداهما من رجل دخل في دين الله عزوجل وفاز، و ثانيهما من رجل بقي على كفره عنادا و استكبارا و قد خسر خسرانا مبينا، الذي دخل في الإسلام بعد حواره مع النبي الكريم محمد ﷺ وهو جبير ابن مطعم رضي الله عنه. يقول رضي الله عنه عن إسلامه: كيف دخل في الإسلام؟ و ما هو السبب الذي أجبره لمرافقة محمد ﷺ؟

فيقول رضي الله عنه رأيت النبي ﷺ يوما في صلاة المغرب كان يقرأ سورة الطور حتى وصل إلى قوله تعالى: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝ أَمْ خَلَقُوا السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَلْ لَّا يُوقِنُونَ ۝ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ۝}(٦٧)

فقلت في نفسي تبا لك يا جبير لماذا لا تدخل في الإسلام و قد أثر في قلبي الإسلام و دخلني من أول مرة و اسلمت متأثرا بكلام الخالق الجبار.

وثانيهما الذي تأثر و لم يدخل في الإسلام عنادا واستكبارا هو الوليد بن مغيرة، وقصته مشهورة في كتب التفسير و التاريخ(٦٨).

من ثمرات الحكمة في مجال التربية:

ومن هنا فقد كانت تربية الإسلام للإنسان تركز تركيزا ملحوظا على تنمية عقله، و تدريبه على رشد التفكير، و من هنا نجد الإشارة كثيرا في القرآن الكريم بالحكمة و أن الذي يؤتاها فإنما يؤتى خيرا كثيرا، و الحكمة هي ذروة التعقل، و رشد الحكم، وصواب السلوك، و استقامة الطريق: {وَمَنْ يُّؤْتَ الْحِكْمَةَ

فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾(٦٩).

وقد دعا القرآن إلى التفكر بأساليب شتى، و في كل المجالات، فيما عدا التفكر في الله تعالى؛ إذ التفكر في ذاته سبحانه تبديد لطاقة العقل، فيما لا يمكنه إدراكه فحسب أن يفكر في مخلوقاته في السموات و الأرض و في نفسه، يقول سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ۗ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى ﴾(٧٠).

و كذلك ينبغي للعقل أن يتفكر في آيات الله تعالى في أرضه و سمائه، و في شمسه و بحره، و نجومه، و فيما تشتمل عليه الأرض من حيوان و نبات، و جبال و أنهار و بحار(٧١)

ومن مظاهر سعي رسول الله كذلك لتنمية التفكير السليم أن دعوته استهدفت تربية و هداية تقوم على بث الوعي و ندرة الاعتماد على المعجزات.

وليس أصدق من نبي يعلم الناس الصدق فيعلمهم مرة بعد مرة، أن الغيب من علم الله، يكشف عنه ما يشاء لمن يشاء: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسٰهَا ۗ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي ۚ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ۗ ثَقُلَتْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۗ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴿١٨٧﴾﴾(٧٢)، و﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَآئِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ۚ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحٰى إِلَيَّ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمٰى وَالْبَصِيرُ ۗ﴾(٧٣)

﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾(٧٤) و ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۗ﴾(٧٥) إلى غير ذلك من آيات تؤكد المعنى نفسه.

و كان الناس ينظرون إلى حوادث الفلك فيحسبونها من الآيات فينهاهم أن يخلطوا بين حوادث الفلك وحوادث الحياة و الموت، و كذلك ما سبق أن عرضنا له عندما كسفت الشمس عند موت ابنه إبراهيم، فقال الناس إنها كسفت لموته.

من ثمرات الحكمة في مجال الثقافة:

لقد ظهر في أعقاب انتهاء الحرب الباردة نظام عالمي جديد اصطلح على تسميته فيما بعد بالعولمة، وهو نظام يقتضي إخضاع العلاقات الدولية في

مجالات التجارة و الاقتصاد و العلوم و التكنولوجيا لهيمنة الشركات متعددة الجنسيات و المنظمات عابرة القوميات. وقد واكب ذلك ظهور تحولات كبرى على صعيد الخريطة السياسة العالمية بحيث تفككت بعض القوى و تركت المجال واسعا لظهور القطب الواحد الذى انفرد بزعامة العالم، وتمكن من التحكم فى نظام العولمة، لتحقيق مصالحه الاقتصادية و السياسة.

ومن هنا يمكن أن نميز فى الثقافة الإسلامية سمات خمس.

أولا: أنها ثقافة إيمانية، يحتل الإيمان بالله و كتبه و رسله و اليوم الآخر مكان القلب من كل شعبها وروافدها، و تتداعى مع الإيمان معالم عديدة، فى مجال الاعتقاد، و مجال السلوك الإنسانى على السواء. فالإيمان بالله أمان من الاستعلاء الظالم على الآخرين، وأمان من تورط الأفراد و الجماعات فى العدوان و الظلم والجور على الآخرين، لأن الإيمان يفجر فى الفرد و فى الجماعة معنى المراقبة، و مراقبة الله عصمة للجماعات من صور الطغيان التى تخشى الإنسانية الويل من عودتها مع بدايات القرن الجديد فى صور جديدة.

ثانيا: أنها ثقافة عقلانية، تقوم على العلم، و تعتبر العقل أداة للمعرفة، و إذا كان المسلمون قد قصروا فى الالتزام بهذه السمة من سمات حضارتهم، و تصور كثير منهم، غلطا ووهما و نقص علم، أن العقل نقيض النقل، و أن انتصارات العقل لا بد أن تمثل انتقاصا من الإيمان - فإن من أوجب الواجبات أن ندير حوارات لتفنيد هذا الظن السيئ، حتى نعيد أمتنا من جديد، كما أرادها ربها، أمة علم و معرفة و حكمة و نهى.

ثالثا: أنها ثقافة إنسانية، ارتفعت من أول يوم فى مسيرتها فوق عوارض الأصل و اللون و اللغة و الاعتقاد... فالخلق كلهم - فى ظلها - عيال الله، و التكريم الذى قررته القرآن الكريم لبنى آدم جميعا، والمخالفون حتى ولو كانت مخالفتهم فى الدين و العقيدة، لهم دينهم ولى دين، ولهم فى مجتمع المسلمين حقوق لا يملك حاكم أو محكوم أن ينال منها.

رابعا: أنها ثقافة عطاء قبل الأخذ، تعنى بالواجبات عنايتها بالحقوق، بل قبل الحقوق، و الحقوق فى لغة القرآن الكريم تشير إلى الواجبات، وهى موجهة أساسا إلى الذى عليه الحق، يقول تعالى: {وَالَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ۝ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ۝}(٧٦)، ويقول: {وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ}(٧٧).

خامساً: الثقافة الإسلامية منفتحة على العالم، تعتبر التعددية سنة واجبة من سنن الله و ليست أمرا محدثا ابتدعه المتحدثون اليوم عن العولمة و عن ضرورة الحوار بين الحضارات، ذلك: {وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَّاحِدَةً وَّلٰكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِيْ مَآ اٰتٰىكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرٰتِ} (۷۸).

لكن كل هذا لا ينبغي أن يجعلنا نغفل عن بعض الثغرات التي تمثلثقوباً في جدار الواقع الثقافي الإسلامي المعاصر، مما يحتاج الأمر لتناوله في دراسة مستقلة، و لكننا نكتفي بأمثلة تقل عن أصابع اليد لا بد من إدارة حوارات متعددة حتى يمكن لنا أن نواجهها مواجهة حاسمة(۷۹):

ففي عملية تثقيف المسلمين اليوم، لا بد أن نعرف ما ينبغي أن يعدم لهم، و ما ينبغي أن يؤخر، و ما ينبغي أن يحذف من ثقافة المسلم(۸۰).

المصادر و المراجع

۱۰ سليمان بن قاسم، المنهاج النبوي في دعوة الشباب، دارالعاصمة الرياض، ۱۴۱۵ھ: ۳۵۱

۲۔ النحل:۱۲۵

۳۔ یوسف:۱۰۸

۴۔ یوسف:۱۰۸

۵۔ البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، باب صب الماء على البول في المسجد: ۸۹/۱، رقم:۲۱۷، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت. ت:مصطفى ديب البغا.

۶۔ القرضاوي، دكتور، محمديوسف، خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، دارالشروق، قاهرة، ۲۰۰۴ء:۲۸

۷ آل عمران:۱۰۴

۸۔ التوبة:۷۱

۹۔ آل عمران:۱۱۰

۱۰۔ التوبة:۱۲۲

۱۱۔ الحج:۴۱.

۱۲۔ الشوری:۱۵،

۱۳۔ یوسف:۱۰۸

۱۴۔ الحج:٦٧

۱۵۔ النحل:۱۲۵

۱٦۔ فصلت:۳۳

۱۷۔ یونس:۲۵

۱۸۔ الصافات:۱۱۷

۱۹۔ الأنفال:۴۲

۲۰۔ القلم:۹

۲۱۔ الهود:۱۲

۲۲۔ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بیروت ۱۹۵٦م، ۲۵۸/۴،

۲۳۔ ابن قیم الجوزیة، التفسیر القیم، مکتبة السنة المحمدیة قاهرة: ص/۳۱۹

۲۴۔ فصلت:۳۳

۲۵۔ ابن کثیر، تفسیر القرآن العظیم، دار المعرفة بیروت ۱۴۰۱هـ:۱۰۰/۴،

۲٦۔ الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، دار الحديث القاهرة ۱۴۰۷هـ:۵۳/۱۱

۲۷۔ الرأي الأول لابن فارس في مقاييسه: ۹۱/۲، والرأي الثاني للراغب في مفرداته ۱۲٦

۲۸۔ أبو البقاء الكفوي، الكليات معجم المصطلحات و الفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة بيروت ۱۹۹۳م، ۲۲۲/۲

۲۹۔ البقرة:۲٦۹

۳۰۔ تهانوي، محمد بن علي، كشاف اصطلاحات الفنون، مطبوعة قاهرة ۱۹٦۳م: ۳۷۰/۱

۳۱۔ ابن حجر عسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث الإسلامي ۱۴۰۷هـ:۱۲٦/۷

۳۲۔ أيضاً: ۵۴۹/۱

۳۳۔ تهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون: ۳۷۲/۱ و كتاب التعريفات: ۹۷ (۳۴) القمر:۵

۳۵۔ البقرة: ۱۵۱،

۳٦۔ اللقمان:۱۲

۳۷۔ ص:۲۰ (۳۸) البقرة: ۲٦۹،

۳۹۔ ابن ماجة، أبو عبدالله ابن يزيد، سنن ابن ماجه، دار إحياء التراث بيروت ۱۳۹۵هـ، رقم

الحديث: ١/ ٣٨٦،
٤٠۔ ابن حجر عسقلاني، فتح الباري: ٧/ ٤٢٣٢،
٤١۔ ابن حجر عسقلاني، فتح الباري: ١/ ١٩٦،
٤٢۔ ابن حجر عسقلاني، فتح الباري: ١٠/ ٥٤٦،
٤٣۔ الدارمي، سنن الدارمي، دار الكتاب العربي بيروت١٤٠٧هـ: ١/ ٧٥، رقم الحديث: ٢٩٣
٤٤۔ نضرة النعيم: ٥/ ١٧٠١
٤٥۔ زيدان، الدكتور عبدالكريم-أصول الدعوة مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٧هـ: ٤٧٠.
٤٦۔ الخياط، خالد بن عبدالكريم، الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر، مكة المكرمة، 1991م: 104، 105
٤٧۔ يوسف: ١٠٨
٤٨۔ النحل: ١٢٥
٤٩۔ الرعد: ٣٦
٥٠۔ الحج: ٦٧
٥١۔ القصص: ٨٧،
٥٢۔ الأحزاب: ٤٥-٤٦
٥٣۔ فصلت: ٣٣
٥٤۔ الشورى: ١٥
٥٥۔ غافر: ٤١-٤٢،
٥٦۔ نوح: ٥-٧،
٥٧۔ مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام: ٣/ ١٣٩٣ رقم: ١٧٧٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت. فؤاد عبدالباقي.
٥٨۔ آل عمران: ٦٤
٥٩۔ أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، حديث جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وهو حديث الهجرة: ١/ ٢٠١، رقم: ١٧٤٠، مؤسسة قرطبة، مصر،
٦٠۔ بخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، باب في بيع المكره و نحوه..: ٢/ ٧٤٧، رقم: ٢٠٤٥، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، مصطفى ديب البغا.
٦١۔ اللهب: ١، والبخاري، محمد بن إسماعيل، باب قوله إن هو إلا نذير لكم...:

۱۸۰۴/۴، رقم:۴۵۲۳، دار ابن کثیر، الیمامۃ، بیروت، مصطفی دیب البغا.

۶۲۔ مسلم بن الحجاج، صحیح مسلم، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه:۱۸۷۳/۴، رقم:۲۴۰۸، دار إحیاء التراث العربي، بیروت، محمد فؤاد عبدالباقي.

۶۳۔ مسلم بن الحجاج، صحیح مسلم، باب الدلیل علی صحۃ من حضرہ الموت: ۵۵/۱، رقم:۲۵، دار إحیاء التراث العربي، بیروت.

۶۴۔ محمد الغزالي، مع الله دراسات في الدعوۃ و الدعاۃ دار الکتب الإسلامیۃ الأزھر طب ۱۹۸۵م. ۳۸۹،

۶۵۔ محمد الغزالي، مع الله دراسات في الدعوۃ و الدعاۃ. دار الکتب الإسلامیۃ الأزھر: طب ۱۹۸۵م. ۳۸۹

۶۶۔ آل عمران:۱۰۳۔۱۰۴

۶۷۔ الطور:۳۵—۳۷

۶۸۔ ابن ھشام، سیرۃ ابن ھشام: ۳۱۳/۱

۶۹۔ البقرۃ:۲۶۹

۷۰۔ الروم:۸

۷۱۔ القرضاوي، دکتور محمد یوسف: العقل و العلم في القرآن الکریم، مکتبۃ وھبۃ قاھرۃ، ۱۹۹۶ء:۳۲

۷۲۔ الأعراف:۱۸۷

۷۳۔ الأعراف:۵۰

۷۴۔ الأنعام:۵۰

۷۵۔ الأنعام:۵۹.

۷۶۔ المعارج:۲۴—۲۵

۷۷۔ الأنعام:۱۴۱

۷۸۔ المائدۃ:۴۸.

۷۹۔ علي، دکتور سعید اسماعیل، الحوار منھجا و ثقافۃ، دار السلام قاھرۃ ۲۰۰۸ء:۲۷۶

۸۰۔ القرضاوي، دکتور محمد یوسف: في فقه الأولویات، مکتبۃ وھبۃ قاھرۃ ۱۹۹۶ء:۹۴